## تعريف المكتبة

**المكتبة:** هي مؤسسة علمية ثقافية، تعنى بجمع وحفظ التراث الفكري الانساني، ليكون منهجاً حضارياً، يمكن الافادة منه مستقبلاً.

وللمكتبة أهمية علمية كبيرة في حياتنا المعاصرة، وللتعرف على هذه الأهمية، يمكن تمديدها بما يأتي:

١- تمثيل الوجه الحضاري للأمم والشعوب.

٢- اسهم في اغناء الفكر وإعادة صياغته من جديد بما يلائم ومستوى التوازن في الحياة العامة.

٣- تقدم الخبرات في مجالات العلم والمعرفة.

٤- تسهم في تنشيط الحياة الثقافية من خلال تنظيم الدورات والحلقات الدراسية والمؤتمرات العلمية المختلفة.

٥- تقدم أفضل التقنيات العلمية وفي الاختصاصات كافة.

٦- تقديم الخبرات العامة للمجتمع والباحثين لاستكمال متطلبات اعمالهم المعرفية.

**أنواع المكتبات:**

١- المكتبات العامة: التي توسعها الدولة والمؤسسات الأخرى التي تعنى بنشر العلم والمعرفة.

٢- المكتبات المتخصصة: كما هي الحال في الطب والهندسة والتكنولوجيا.

٣- المكتبات المدرسية: وهذه تعنى بها المدرسة لتكون مرجعاً ثقافياً للمعلمين والتلاميذ.

٤- المكتبات التجارية: وهذه تؤسسها شركات أو من لديه القدرة على شراء الكتاب وبيعه. والهدف منها الربح المادي.

٥- المكتبات الخاصة: التي يؤسسها بعض المهتمين من العلماء أو الأدباء في مساكنهم للإفادة منها.

٦- المكتبات الإلكترونية الحديثة: التي تسهم في نشر الوعي الثقافي.

**نشأة المكتبات**

لا نستطيع أنْ نحدد أول من أنشأ مكتبة في العصور القديمة، كما لا نستطيع أنْ نقطع في أقدم مكان أنشئت فيه أولى المكتبات؛ إلا أن الحفريات والتنقيب عن الآثار تدل على أنه لعل من أولى المكتبات ما قد ظهر قديمًا في منطقة ما بين النهرين في العراق وفي وادي النيل؛ حيث وجد ما يدل على ذلك، وتعود المكتبات إلى ما قبل الميلاد. فقد وجد في أخربة نينوي، وبابل، وتل العمارنة ما يدل على قدم ذلك، كما عثرت إحدى البعثات الأمريكية في وادي الفرات على مكتبة تحوي ثلاثين ألف آجرة - لبنة من الطين المجفف - مكتوب عليها بالخط المسماري الشؤون الإدارية والفنية والأدبية. كما عثر على مكتبات في وادي النيل من أقدمها مكتبة أوسيمندياس، ومكتبة حوتب وخوفر وخفرع، وكانت هناك مكتبات قديمة مشهورة كمكتبة الرها، والقدس والإسكندرية وغيرها.

وقد حفظ العرب قبل الإسلام بعض آثارهم الفكرية ووقائعهم ينقشها على الحجارة خشية اندثارها. كما اشتهرت المعلقات التي تحمل خيرة قصائد فحول الشعراء.

ولا نغالي إذا قلنا أن المكتبات في الإسلام قد نشأت مع نشأة المساجد؛ إذ لم يكن المسجد مكانًا خاصًا للعبادة فحسب؛ بل كان مركز الحياة الاجتماعية والسياسية، ومركز إدارة الدولة وتسيير أمورها،

كما كان محط أنظار المسلمين، ومعقد حلقات العلم، واجتماع العلماء وتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم والتفسير والحديث وأصول العربية وغير ذلك، ومن ثم فلا عجب من اهتمام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ببناء مسجد قباء بعد الهجرة مباشرة، ثم تأسيس مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة المنورة في الأيام الأولى من وصوله إليها، ثم كثرت المساجد فيها وفي البلاد الإسلامية، ولما كان المسجد أولى المعاهد في صدر الإسلام، كان لا يخلو من صحف القرآن الكريم وتفسيره، وصحف الحديث وغيره. ويسعنا أن نقول: إنَّ أولى المكتبات كانت بيت رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)؛ أذ كان يجمع فيه ما يدونه كتاب الوحي من التنزيل الحكيم.

إلى جانب هذا كان لبعض الصحابة والتابعين كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة التي عرفت فيما بعد؛ فقد كان عند سعد بن عبادة الأنصاري كتاب أو كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم)، وعند عبد الله بن مسعود مصحفه المشهور وصحف أخرى بخطه، وعند أسماء بنت عميس كتاب جمعت فيه بعض أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد اشتهرت صحيفة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) التي كان يعلقها في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات، وحرم المدينة ولا يقتل مسلم بكافر.

كما كان لابن عباس كتب كثيرة بلغت حمل بعير.

وأخبار الكتب والمكتبات كثيرة جدًا؛ وإنما سقنا ما سلف لنبين اهتمام المسلمين بالعلم أفرادا ومسؤولين، رعاة ورعية، وقد كثرت المكتبات العامة منذ أواخر القرن الهجري الثاني، وأمدها الخلفاء والأمراء والمسؤولون بما تحتاج إليه من الموظفين والمواد الكتابية،

وما يلزم لتجليد الكتب وغير ذلك، وزودوها بأمهات الكتب في مختلف العلوم، وتبارى الخلفاء والأمراء في مشرق الدولة الإسلامية ومغربها وفي الأندلس في الحصول على أنفس الكتب وأندرها، حتى زخرت خزائن المكتبات العامة بآلاف المجلدات، وقد روى أن خزانة قرطبة ضمت أربعمائة ألف مجلد أبان ازدهار الخلافة في الأندلس؛ في حين أنَّ شارل الخامس ملك فرنسا في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي لم يستطع أن يجمع في مكتبة فرنسا الرئيسية أكثر من ٩٠٠ تسع مائة مجلد خمسها في اللاهوت.

## أشهر المكتبات في الإسلام

إنَّ المقام لا يتسع لذكر جميع المكتبات في البلاد الإسلامية عبر العصور. وسنكتفي بذكر أشهر المكتبات في البلاد الإسلامية فيما مضى:

١- **دار الحكمة:** أو بيت الحكمة، وقد رجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو هارون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ)، ثمَّ أمدها ابنه المأمون من بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين الضخمة؛ حتى صارت هذه المكتبة من أكبر خزائن الكتب في العصر العباسي، وظلت هذه الخزانة قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم إلى أن استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ.

٢- **دار العلم:** وهي خزانة العبيديين بمصر، ألحقها الحاكم العبيدي صاحب مصر بدار الحكمة، التي أنشأها على غرار جامعات بغداد وقرطبة، وقد جمع في دار العلم كتبا كثيرة، وأقام فيها المسؤولين وخصص لهم الجرايات، وجعل في المكتبة ما يحتاج إليه المطالعون والنساخ من الحبر والمحابر والأقلام والورق. وقد كانت هذه الدار من أعظم الخزائن التي عرفها العالم الإسلامي

فيما مضى، وأكثرها جمعا للكتب النفيسة من جميع العلوم، وبقيت على ذلك إلى أن انقرضت دولة الفاطميين بموت العاضد (ت ٥٦٧هـ ) آخر خلفائهم.

٣- **مكتبة قرطبة:** كثرت المكتبات في الأندلس وبلغت نحو سبعين مكتبة أيام الخلافة سوى المكتبات الخاصة، وأعظم تلك المكتبات وأشهرها مكتبة قرطبة التي أنشأها الأمويون ورعاها الخلفاء، وقد بلغت أوج ازدهارها في عهد المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ ) الذي كان له وكلاء في البلاد الإسلامية الكثيرة، يزودونه بكل ما ينتجه العلماء المسلمون من مؤلفات، وبهذا أثرى المستنصر مكتبة قرطبة بما لا يحد ولا يعد ولا يوصف من الكتب، وقد روي أنها جمعت أربعمائة ألف مجلد.

٤- **المكتبة الحيدرية:** في النجف الأشرف ولا تزال هذه المكتبة قائمة حتى هذا الوقت، وسميت الحديرية نسبة إلى حيدر وهو اسم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام). والمكتبة الحيدرية هي خزانة المشهد الشريف الذي فيه قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). وترجع هذه المكتبة إلى عهد بعيد جداً، وقد اهتم بها الأمراء والوزراء وأعيان الشيعة. ومن أشهر من اهتم بها قديماً عضد الدولة البويهي (ت ٣٧٢هـ) ولعل الحاقها بالمشهد كان سببا قوياً في بقائها حتى هذا العصر. وقد روي أنها جمعت أربع مائة ألف مجلد.

٥- **مكتبة ابن سوار بالبصرة:** أسس هذه المكتبة أبو علي بن سوار الكاتب، أحد رجال عضد الدولة البويهي، فيها كتب كثيرة، وكان فيها شيخ يدرس عليه مذهب الاعتزال.

٦- **خزانة سابور:** أنشأ هذه الخزانة سابور بن أردشير سنة ٣٨٣هـ بالكرخ وسماها دار العلم وزودها بكتب كثيرة زادت على عشرة

آلاف كتاب في مختلف العلوم وكانت هذه المكتبة مركزا ثقافيا هاما يلتقي فيه العلماء والباحثون للقراءة والمطالفة والمناظرة، وكان أبو العلاء المعري يكثر التردد إليها عندما كان في بغداد.

٧- **خزانة كتب الوقف بمسجد الزيدي ببغداد**: أنشأها أبو الحسن علي بن أحمد الزيدي (ت ٥٧٥هـ ) وزودها بالكتب الكثيرة، كما ساهم غيره بتزويدها.

٨- **مكتبة رامهرمز:** أنشأها ابن سوار في مدينة رام هرمز على غرار مكتبة بالبصرة. ولا بد لنا في هذا المقام من أن نذكر مكتبات المدارس التي ألقحت بهذه المؤسسات العلمية التي كثرت في شرق الدولة الإسلامية ومغربها، فقلما خلت مدرسة من المدارس من مكتبة كبيرة تتبعها، تزود بالنتاج الفكري الإسلامي الذي تفتح ونضج في تلك العصور، كمكتبة المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية، ومكتبات مدارس دمشق، ومكتبة المدرسة الفاضلية بالقاهرة وغيرها من المكتبات. هذا إلى جانب الخزائن النفيسة الملحقة بأكثر المساجد في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية.

وإلى جانب هذه المكتبات ألحق الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة، فقد كان للفتح بن خاقان (ت ٢٤٧هـ ) وزير المتوكل الخليفة العباسي مكتبة جامعة، وللمبشرين فاتك المتوفى سنة (٤٨٠هـ) أحد أعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيمة في العلوم الرياضية والحكمية وغيرها.

وكان للخليفة الناصر لدين الله (ت ٦٢٢هـ) مكتبة كبيرة جدا، كما كان للخليفة المستعصم بالله (ت ٦٥٦هـ) مكتبة ضخمة في داره فيها نفائس الكتب في مختلف العلوم.